ميتافيزيقا

الدرس السابع

أرسطو – الجوهر

- هناك إذاً أوَّلا التعريف بتدرّج رتبي للكيانات بواسطة المقولات، أي التجزئة بحسب مقولات.
- ولكن، عندما نقبل بتعدّد "قول" الكيان، تبقى هناك مقولة أساسية، قبل كلّ المقولات الأخرى، وهي الجوهر.

- لنأخذ، على سبيل المثال، الكيف والجوهر :
الجواهر، يقول أرسطو، هي أشياء تملك كيفيات، أي أنّ الكيفيات أشياء تنتمي إلى الجوهر.
مثلاً : "بطرس" و"رسّام جيّد". لكلٍّ من "بطرس" و"رسّام جيّد" كيان، ولكن لكلٍّ منهما كيان بشكلٍ مختلف جدًّا.
فالأوّل أكثر أساسيةً من، وهو يسبق الثاني دائماً - يسبق الجوهرُ الكيف. وبالفعل، لا يحتاج بطرس إلى كيف الرسّام الجيد لكي يكون، بينما يحتاج كيف "رسّام جيّد" غلى بطرس لكي يكون.

- ولكن، لنلاحظ من الآن مشكلة ستبقى دون جوابٍ كامل عند أرسطو : يجب على بطرس في كلّ الأحوال أن يملك كيفيات أخرى...

ا- الجوهر في كتاب المقولات

1-تقسيم الجواهر

في كتاب **المقولات** يقسّم أرسطو كلّ المقولات إلى أجزاء أصغر، أي أنّه يحلّل كلّ واحدة منها نوعاً ما، فتصبح أكثر وضوحاً. وهو يفعل ذلك أيضاً مع مقولة الجوهر، وهي التي تهمّنا الآن :
يقول أرسطو أنّ هناك :
- جواهر جزئية (particulières)، مثل سقراط أو يوحنّا...
- جواهر عامّة، مثل الجنس البشري أو القطط...

2. أسبقية الجوهر

السؤال : أي من نوعي الجوهر يمكن اعتماده كمبدأ وكأساس؟
الأفلاطوني قد يجاوبنا بوضوح : جنس "الحيوان" هو بالطبع الأقرب من الجوهر الأساسي.
ولكنّ أرسطو يقول العكس تماماً، وعليكم أن تحفظوا ذلك عن ظهر قلب :
الأفراد هم الجواهر الأساسية.
وبالتالي طبعاً تعتمد كلّ أنواع الجوهر الأخرى على هذا النوع.
كيف ذلك؟
تسمح الأجناس والأنواع بالتصنيف. وبكلّ وضوح، إذا لم يكن لدينا أفراد، أي ما يمكن تصنيفه، لن يكون هناك أي شيء نصنّفه، ولن يكون هناك من سبب لوجود الأنواع نهائياً.
ولكن...
لا يمكننا أن نتوقّف هنا، وأرسطو نفسه يقول ذلك. إذ أنّ هؤلاء الأفراد سيجدون أنفسهم عرضةً لهجوم يعترض على اعتمادهم : فهم عرضة **للتغيّر**.

ب- حلّ مشكلة التغيّر في كتاب علم الطبيعة (Φύσις)

في الواقع، يعود عمل أرسطو هنا إلى الجواب عن أحد الأسئلة الثلاث الأساسية، وهو السؤال الثالث : "كيف يمكننا أن نفهم العالَم؟"
- أوَّلا دعوني أذكّركم، انّه إذا أردنا أن نفهم، يجب ان يكون هناك كيان، فالكيان هو فقط ما يمكن معرفته.
- وبالتالين يسعى أرسطو إلى برهان أنّه في التغيّر هناك شيء :

- يبقى نفسه، ويمكن بالتالي أن نعرفه، وأن يؤسس للعِلم،
- ويحصل هذا الشيء على ميّزة لم تن فيه من قبل.

*يمكننا أن نعارض أرسطو عندها قائلين :
يمكن أن يكون ذلك صحيحاً بالنسبة للأشياء المركَّبة التي تأتي إلى الكيان، مثل "بطرس موسيقار جيّد"، ولكنّ الوضع مختلف بالنسبة لبطرس نفسه الذي يولد مثلاً. فعندها لا "يحصل" بطرس على كيان، فهو غير موجود قبل أن يكون.

3 الهيلومورفية (hylémorphisme)

يجاوب أرسطو على هذا الاعتراض في كتاب **علم الطبيعة** :
فيقول أنّه حتّى في هذه الحالة، لدينا شيء مركَّب. وبالتالي حتّى في **الكون** (génération) أي تكوين الجوهر، هناك شيء يبقى نفسه، لا يتغيّر، وشيء يضاف غليه؛ هناك شيء بالتالي يعتبَر بطرس نفسة تغيّر له، كما يشكّل "موسيقار جيّد" تغيّر لبطرس. هذا "الشيء" هي **الهيولى**، أي المادة.
الجواهر الفردية هي إذاً هيلومورفية، مركّبة من صورة (morphè) ومن هيولى (hylè).
حلّ ذكي رائع طبعاً، ويبدو حتّى بسيطاص وطبيعياً، ولكن... في الحقيقة سيقود ذلك إلى أزمة عند أرسطو، وبالتحديد في ما نسمّيه الميتافيزيقا كما قد نستلخصها من كتبا **المقولات**.

4 إشكالية الهيلومورفية

إليكم المشكلة التي تخلقها الهيلومورفية مباشرةً :
يقول **كتاب المقالات** أنّ الكيان الأساسي، أساس كلّ تحديد، هو الجوهر الفردي. ولكن كيف يمكنه أن يكون كذلك بينما نجد ما يحمله الهيولى، فتبدو الهيولى أساسية أكثر منه؟
يعني ذلك أنّ العالم بأسره، في نهاية المطاف، مؤسس على الهيولى.
إذا ما أخذنا مثال الجوهر الفردي "بطرس"، قائلين بأنه مكوّن من هيولى وصورة، وأنّ هذه الهيولى – كما يقول أرسطو بالضبط – أنّ هذه الهيولى هي بدورها مركَّبة، فنجد تحتها إذاً هيولى أخرى وهلم جرى، حتّى نصل إلى الهيولى الأساسية التي لا تحتوي على اي صورة ولا تتصل بأي صورة، فيكون العلام، باختصار، مؤسَّساً على الهيولى.
- أودّ أن أشير إلى أنّ أرسطو كان قد جاوب في أعماله على السؤالين الأساسيَين الأوَّلين.
أذكّركم بالأسئلة الثلاث :
ا- ما هو الكيان وما هي الأشياء الكائنة؟
ب- ما الذي يجعل الأشياء الكائنة تتغيّر؟
ت- كيف يمكننا فهم العالم؟
بفضل العمل الخاص بتفسير الكيان والتغيّر، حصلنا على الجواب على السؤالين الأوَّلين، وينتج عن ذلك في آخر المطاف أيضاً أنّ الهيولى الأساسية هي الأساس النهائي لكلّ تركيبة الواقع.
ولكنّ ذلك غير ممكن، لأنّه إذا **العالم مكوّن أساسياً من هيولى دون صورة، فهو غير قابلٍ للفهم والعِلم،** وتخسر كلّ الفلسفة معناها وسبب وجودها.

للإجابة على هذا الإشكال ولحلّ هذه المشكلة بالضبط، أجبر أرسطو على كتابة **ما وراء الطبيعة**، أي كتاب **الميتافيزيقا**.
يشكّل كتاب الميتافيزيقا إذاً سعياً لحلّ الأزمة التي أحدثها كتابَي **المقولات** و**علم الطبيعة**.

مُلحق
نص

أرسطو، كتاب المقولات، 5

الجوهر، بمعناه **الأوّل**، وهو الأصَح والأكثر تأكيداً، غير محمول (prédicable) من أي موضوع، وغير موجود في أي موضوع. ؛ مثلاً الإنسان-الفرد أو الحصان-الفرد.
ولكن بمعناه الثاني هو شيء، كالأنواع، توجد فيه الجواهر الأولى، أو شيء، كالأجناس، يحتوي على الأنواع. فالإنسان الفرد مثلاً ينتمي إلى نوع "إنسان"، وينتمي هذا النوع إلى جنس "حيوان" – وتسمّى هذه الجواهر **جواهر ثانية**.

من الواضح في ما قلناه للتو أنّ الاسم وتحديد المحمول يتمّ حملهم عن الموضوع (prédiquer du sujet). ف"رجل" مثلاً محمول من الرجل الفرد.

...

يبدو أنّ كلّ الجواهر تشير إلى ما هو فردي. في ما يخصّ الجوهر الأوّل، هذا صحيح وغير قابل للجدل، لأنّه وحدة.
أمّا في ما يخصّ الجواهر الثانية، عندما نتكلّ مثلاً عن "إنسان" أو "حيوان"، قد يبدو كلامنا وكأنّه يشير غلى شيءٍ فردي أيضاً، ولكنّ ذلك ليس دقيقاً؛ لأنّ **الجوهر الثاني ليس بفرد**، بل صنف (classe) له صفاته؛ فهو ليس واحد ووحدة مثل الجوهر الأوّل؛ فكلمتَي "إنسان" و"حيوان" تُحمَل عن أكثر من موضوع.